

جريدة الجمهورية 2012/4/21

الفيديو الروسي لن يوقف الثورة (تابع).

ربما توهم البعض من الفيديو الروسي واعتقد أن وهج الثورة سينكفىء أو يتراجع ، يومها ولإجل كل نقطة دم أهدرت من قبل هذا النظام في لبنان وفلسطين وسوريا والعراق ، وتماشياً مع أي تضحيات مماثلة قدمتها الشعوب في سبيل حريتها ، قلنا أن الفيديو الروسي لن يوقف الثورة وذلك في مقال نُشر في هذه الصحيفة الغراء بتاريخ 2012/2/21 .

اليوم وبعد مرور شهرين على نشر هذا المقال وغداً ومهما طال الزمن أو قصر نقول إنه لا يمكن لهذه الملحمة التاريخية أن تنتهي على مشهد الهزيمة ، فمن حرم نشوة المقاومة الحقيقية لإسرائيل ، ومن حرم من التطور والتقدم والإفتاح والإزدهار وأُفقر وذلّ لن يأبه بالعودة إلى الوراء .

وبعدما تطورت مواقف الدول المعطلة للإجماع الدولي لإنهاء مشاهد القتل المستمرة في سوريا أملاً في أن يرسي هذا الشعب نظاماً ديمقراطياً ، إذ برز إجماع دولي حول انطلاق آلية معالجة هذه الأزمة ، تمثل بإجماع مجلس الأمن في قراره الأخير على وجوب المباشرة بتنفيذ مبادرة المبعوث الدولي والعربي كوفي أنان حيث وقّعت الحكومة السورية بتاريخ 2012/4/19 إتفاقية مع الأمم المتحدة حول آلية عمل المراقبين الدوليين... هذه المبادرة التي ستصطدم حكماً بألة النظام الوحشية التي لا تستطيع أن تتوقف عن القتل لعدم قدرتها على التعايش مع حركة الثوار المتزايدة التي ستقضى عليه مهما طالّت أو قصرت فترة تنفيذ المبادرات عربية كانت أم دولية .

وإذا عدنا إلى المشهد الدولي في صورته السلبية المتمثلة بالفيديو الروسي والصيني والمعارضة الإسرائيلية لفكرة الإطاحة بنظام الأسد ، والتردد الأميركي جراء خيياته في العراق واضطراره لملاقاة طهران هناك من خلال دعمه حكومة المالكي أو عدم قدرته على معالجة الملف النووي الإيراني حيث تتولى فيه حالياً تركيا دور الوسيط في خضم الحديث عن قيام الدرع الصاروخي الخليجي ، أو الخيبة الآتية من

أفغانستان واضطراره للتفاوض مع طالبان ، في حين أن الصورة الإيجابية لهذا المشهد تمثلت بتبني السعودية وقطر علناً دعم الثوار مادياً ولوجستياً مما أدى إلى تزايد العديد في صفوف الثوار وسيطرتهم الفعلية على بعض المناطق والأحياء إن بصورة محدودة وإن بأوقات مختلفة .

ومن العوامل الأكثر إيجابية التي تصب في مصلحة الثوار ، أن المبادرة العربية أكدت للعالم العربي مهما كبرت انقساماته ، أن مساعي الحل السلمي لدى نظام الأسد مستحيلة وسيؤكد هذا الأمر أكثر مع فشل مساعي أنان ، وإذا كان هذا النظام يستمد جزءاً من صموده من الدعم الإيراني ، إلا أن هذا الدعم يشكل سيفاً ذو حدين فقد يؤمن له قدرة محدودة في الزمان والمكان لكنه في المقابل يوحد العالم العربي السني في دعمه للثوار ، لإدراكه حجم الخطر الفارسي الذي لطالما بنى ثورته على أساس مواجهة إسرائيل ليتبين أن هذا النظام يحاول بسط نفوذه في العالم العربي بطريقة أو بأخرى ، وهو ليس إلا مشروعاً للهيمنة إن لم نقل مد للنفوذ الشيعي في العالمين العربي والإسلامي .

كل ذلك سيزيد من زخم هذه الثورة لأنه ليس أمام الثوار سوى الإستمرار في ثورتهم التي إن توقفت لن تزيد على يؤس الشعب السوري إلا بؤساً وشقاءً ، مما يخفق الربيع الجنيين الذي ما لبث أن أبصر النور حتى انقضّ عليه

خريف الحقد والقتل ، في حين أن الثورة كي تأتي بثمارها تحتاج إلى كثير من التضحية والصمود والمزيد من الدعم .

لذا عندما طالبنا بوحدة إدارة الثورة السورية كنا على يقين أن ذلك من شأنه أن يمكّن الثورة من أن تفرض نفسها على العالمين العربي والغربي ، وهي اليوم تسير في المسار الصحيح سواء من الناحيتين السياسية أو العسكرية وقد انعكس ذلك إيجاباً من

خلال ارتفاع نسبة الملتحقين بالجيش السوري الحر إضافة إلى إنضمام مسؤولين سياسيين إلى صفوف الثوار بعدما كانوا من عداد المؤيدين لنظام الأسد .

كل ذلك يدفعنا للقول إن الأمل في هذه الثورة كبير ولا بد لإرادة الحياة أن تنتصر على إرادة القتل والموت ، وأن العودة إلى الوراء مستحيلة مهما بلغت التضحيات أو عظمت ، فالديمقراطية والحرية ومستقبل أجيالنا تستأهل هذه التضحيات ، وما سوى ذلك ليس إلا خنوعاً وقهراً وذللاً وانطواءً كأنما المطلوب فقط من الإنسان أن يقاتل وينام في سبات عميق ، فيما عالم الحرية واسع لن نقبل أن يُيقينا أحداً بعيداً عنه .

المحامي الدكتور أنطوان أ. سعد
أستاذ في القانون الدولي